الأيّام الّتي عَبَرت

(قصص قصيرة وقصيرة جداً)

الأيام التي عبرت

(قصص قصيرة وقصيرة جداً)

تأليف

محمـد علـي علـي

/الأيام التي عبرت/

المؤلف: محمد علي علي

الرسوم الداخلية للفنان أسعد أبو ديب ـ جبلة ـ جيبول

الطبعة الأولى: ٢٠٠٨.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

الإخراج الفني: بشار الحلبي

تصميم الغلاف: فيصل الحفيان

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

هـ : ٠٤١٨٢٣٨٣١

جوال: ٠٩٩٩٣٢٠٠٦٤

الإهداء....

إلى المظلومين الذين

يدفعون باستقامتهم مكر وجبروت ظالميهم

محمد علي علي

تقديم

د . عبد الله أبو هيف

تطورت الكتابة القصصية عند محمد علي علي في مجموعته الجديدة "الأيام التي عبرت"، وقد وضعت مقدمة عن موهبته في كتابة القصة القصيرة في مجموعته الأولى "الطريق الطويل" المنشورة عام ١٩٩٢، وحملت قصصه سرد مشكلات جماعة مغمورة في أقصى لحظات مكابدتها، وعنائها، وشظف العيش الذي ترتمي تحت أثقاله، وعبّرت منظوراته القصصية عن صنوف عديدة من الفساد الاجتماعي تحت قسوة

الشروط المعيشية، ومالت القصص إلى الاختزال السردي الباعث للمقاصد والأهداف دون مباشرة، تفضيلاً لمحاولات إبداء المواقف والقضايا والأوضاع الخاصة والعامة عند توصيف الممارسات اليومية في الواقع الاجتماعي الموجع غالباً.

حملت مجموعته الجديدة "الأيام التي عبرت" المزيد من هذا التوصيف لمتاعب الحياة، واختار محمد علي علي نموذجين من السرد، أولهما تكاثر عناصر التحفيز التأليفي في القصص القصيرة والتطويل السردي المؤشر للعديد من المنظورات، وثانيهما استخدام القصة القصيرة جداً في السرد القصير اعتماداً على المفارقة، أو الإشارات، أو المجازية، أو المتناصات، أو مجرد الأحاسيس بمساعي بلاغة السرد.

وزع محمد علي علي القصص القصيرة الأربع، وتلت كل قصة مجموعة قصص قصيرة جداً، وأشير

إلى التشكيل السردي ومحتواه فيها.

يروي محمد علي علي في قصته "الأيام التي عبرت" تجارب من ذاكرته عن قلق الحياة، ومواجع النفس، مع أسرته وأصدقائه وخواطره، إزاء أنماط العيش الضاغطة، ومنها مجرد إحساسه بالأشياء والأماكن والوجوه، حتى أن صورة المرأة "روز" خاطرة دون فاعلية أو واقعية، لأنها تعبر أمامه، ولا تواصل أو لقاء أو حوار بينهما، شأن ذكرياته العديدة في وجدانه، فلا نماء للأحاسيس بعامة، ولا مقاربة نافعة مع الوجود الشخصي والاجتماعي والإنساني.

أدخل السارد في قصصه التحفيز التركيبي (تنامي الفعلية)، فالراوي يكثر من رصد الحوافز (الوحدات القصصية الصغرى)، إلماحاً إلى دلالات كامنة عن صعوبة العلاقات الإنسانية، ووطأة الواقع على الحياة اليومية.

زادت في قصته "الذي حصل لمرزوق" مكابدة الأوضاع الاجتماعية في القصة، فقد طرد مرزوق من وظيفته، وأحيل إلى المحاكمة، وهو نظيف وشريف وصادق منذ ولادته حتى واجه الضغوط الخارجية من آخرين اتهموه من أجل مصالحهم الخاصة. واستغرق مرزوق في أوجاعه تحت تأثير المفاسد والأكاذيب، فأسعفته زوجته في تخفيف متاعبه وأحزانه.

بنيت القصة على وصف التفاصيل المتعبة من حال إلى حال، وكأن المدينة كلهّا مشمولة بهذا الفساد والإفساد من أشخاص ظالمين وخاسرين للأخلاق وسلامة التعامل.

تدخل قصة "أسراب الحمام" في التخييل وصفاً لمشكلات الطبيعة وآثار سمومها على البشر رياحاً ورمالاً وأشجاراً .. إلخ، وتتاغمت الأوصاف مع التورية في حراك أسراب الحمام الدال عن حال المدينة الجائر، وأحوال البشر المشوهة.

تبدى في القصة صوغ المخيلة التي تنادي الخلاص من هذه الأوجاع والمظالم من وصف الطبيعة المباشر إلى إلماحات الحوادث والأهوال الكامنة في وعي الوجود.

تصور قصة "نهاية الموظف عبد الصبور" سوء العلاقات الاجتماعية من خلال عمل الموظف عبد الصبور الذي تميز بكفاءته ومقدرته ومعرفته منذ تخرجه إلى ممارسته، ولكنه لم يقدر في تعيينه وترفيعه، بينما صار زملاؤه الأقل كفاءة وقدرة هم الأكثر اهتماماً وتكليفاً بمراكز إدارية عالية، مما جعله حزيناً تحت انتشار الاختلاس و المساوئ وسوء العلاقات الإدارية والاجتماعية.

تندغم القصة أيضاً في التحفيز التأليفي الذي يجمع بين الواقع والتخييل، من وصف السيرة الشخصية والأعوام الوظيفية إلى ضنك العلاقات في المؤسسات والمراكز بخاصة، وفي المجتمع بعامة.

تلا القصة الأولى أربع قصص قصيرة جداً، هي "داويته وشفاه الله"، و "رحيل"، و"قصص غير صالحة للنشر"، و"سكون". وقد اقتصر السرد فيها على الأحاسيس النابضة بدلالات كامنة، كالمأمول بالخلاص من المرض والأوجاع الصحية، وبالافتراق عن الرحيل بضرورة الاستمرار والبقاء والأنس الصافي، وبالانتقاد للتصرفات غير السليمة عند التعامل الإنساني بين الأشخاص، وبمجاورة الأوهام في التجارب البشرية الغريبة.

ألحق محمد علي علي قصته الثانية أربع قصص قصيرة جداً أخرى، هي "الغربان"، و"الهدف"، و"الحافلة"، و"انهيار"، وجوهرها هو مسعى المجازية في ذكر الحوافز القليلة، كأن يشير إلى "الغربان" على سبيل التورية، أو يعبّر عن مقاتلة الرجال لما يمزق أوصالهم بوعي الأهداف وسلامة تسييرها، أو يعتمد على المتناصات باستهلال قول الأمام علي ابن أبي طالب "الموت يقظة"، إلماحاً إلى مواجهة الدمار

والخراب، أو يذكر المجاز في معنى انهيار النفس، كلما غاب المرء "في لجة البشري المتدافع نحو الهاوية".

أضيف إلى القصة الثالثة أربع قصص قصيرة جداً أيضاً، هي: "فاطمة"، و"نجاة"، و"الهاوية"، و"بقاء" وبني السرد القصير فيها على المفارقة، أو الإشارات الدلالية، مثل خلل العلاقات الاجتماعية بين الذكورة والأنوثة، وضعف تواصل الزواج لدى إنهاك الأجساد وعذاب النفوس، واختراق الأرواح الدافئة، بينما أظهرت القصة القصيرة جداً الرابعة "بقاء"، مفارقة الإنهاك نحو جلاء الأوضاع الغادرة.

وضع محمد علي علي ست قصص قصيرة جداً بعد القصة الرابعة والأخيرة، وهي: "هروب"، و"ديمقراطية"، و"النسر"، و"حزن"، و"وموات"، وقامت هذه القصص على المستويات السردية المكثفة لمقاربة الدلالات والمعاني.

اهتم محمد علي علي بالمشكلات الاجتماعية في قصصه، وحاول أن ينوّع السرد طولاً وقصراً، استرسالاً وكثافة، فيما يؤدي إلى مقاصد وأهداف كامنة وصريحة.

الأيام التي عبرت

(قصص قصيـــرة وقصيـــرة جـــداً)

الأيام التي عبرت•

لم يكن كثير العجلة للوصول إلى عمله؛ والوقت ضحى.. أوصد الباب خلفه.. صفقه بقوة، ثم أخذ يتهادى بخطواته الهادئة الرصينة.. قطع المسافة بين درجات سلم (الفيلا) وسيارته الجاثمة منذ منتصف ليل الأمس على الرصيف المقابل، ولم تكن في المرآب لإصلاحات كان العمال لا يزالون يجرونها فيه.

أدخل المفتاح في قفل السيارة؛ ثم أداره نصف

• نشرت في جريدة الأسبوع الأدبي العدد /٣٥٣/ الصادر في آذار ١٩٩٣.

دورة. المحرك أصدر صوت شخير ثم توقف.

ـ ما هذا!..أيعقل أن يحصل ذلك؟!.

ثانية أدار المفتاح في مكانه نصف دورة جديدة فأصدر محرك السيارة صوتاً متواصلاً يشير إلى أن (الكابرس) جاهزة للسير.. لم يكن مضطراً للوصول إلى عمله بعد.. بينه وبين الوقت الذي حدده للعمل في مكتبه صباح كل يوم أكثر من ثلاثين دقيقة.. ترك السيارة تصدر شخيرها الخفيض؛ وهو يرتب غطاء (التابلو) المصنوع من الفراء، ثم أعاد شريط (كاسيت) إلى مكان ما داخل السيارة، بعد أن وصلت إليه أشعة الشمس عبر الزجاج.

أنزل ساترة زجاج السيارة الأمامي، ثم نظر في مرآته الصغيرة، وتوقف قليلاً يتأمل عينيه المشوبتين بالحمرة بسبب سهر يوم الأمس.. فركهما مغمضتين بسبابته وإبهامه، ثم أعاد ساترة الزجاج إلى وضعها الأول.

ضغط دواسة البنزين قليلاً، فارتفع صوت المحرك أكثر دون أن تتحرك(الكابرس)..

ثوان وتحركت متراجعة نحو الخلف، محاذية الرصيف ومصدرة صوت موسيقى رقيقة.. دارت نصف دورة، ثم اتخذت اتجاهها في الطريق العريض، وتحركت، رشيقة، فابتلعها الشارع الغاص بالعابرين، والسيارات والمحال، وضياء الشمس.

*   *   *   *

كل الذي كان يعرفه، أن ذاكرته قلما تخونه.. لقد كان سريعاً في استدعاء المعلومات، وصور الأشخاص الذين مروا معه، وعرفهم في وقت سابق، إلاّ أنَّ ذاكرته تسبب له حرجاً هذه الأيام.

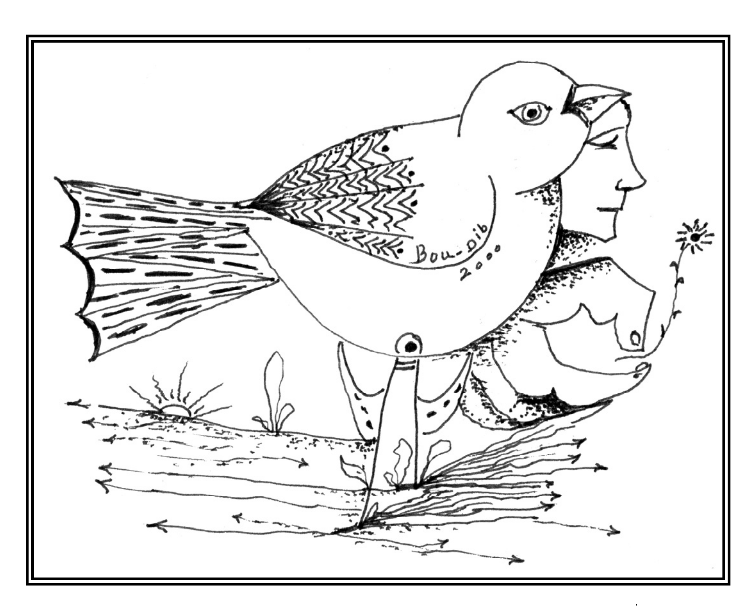
سلّم عليه رجل ادّعى أنّه كان جاره في وقت سابق.. حاول استدعاء صورة الجار إلا أنّه لم يتمكن.

امرأة زارته إلى مكتبه، ادّعت أنّها من قريته..

أيضاً لم يتذكّرها.

شاب /ببنطال جينز/ وقميص عريض أرقش ادّعى أنّه ابن صديقه الذي عايشه أيام زمان.. شرح له الشاب المكان والزمان الذي عايش فيه والده، إلا أنّ ذاكرته لم تسعفه في التذكر.





سقى الله أيام زمان... زمان مات واندثر في غياهب الأيام التي عبرت

الأرصفة مزروعة بالسيارات.. لا يتمكن من التوقف لثوان في عرض الشارع.. إحدى السيارات تتجه نحو الخلف.. تريث قليلاً: ((لا بدّ أنّ المازدا /٩٢٩/ تريد الخروج، إذاً لأوقف سيارتي في مكانها)).. خرجت السيارة، فاتجه عبد الرؤوف بسيارته نحو الفراغ الحاصل، وهو يتأمل السيارات.. مرسيدس /٢٨٠/ ـ كابرس ـ مرسيدس لف ـ ب. م. دبل يو إلخ....

الشمس تبدو أكثر شدّةً من ذي قبل.. نظر إلى الأعلى وهو يترجل، ثم أصدر صفيراً خفيضاً لكأن الشمس تصدر شواظاً على الكون. ابتسم وكأنّه يريد ممازحة نفسه بينما أحلامه تسبقه إلى مكتبه الذي يتطاول ظلُّ بنائه ليشمل (الكابرس) التي كان يمتطيها قبل ثوان.

بعد أن سوّى حال سترته، وربطة عنقه،. اتجه إلى مدخل البناية التي تضمُّ مكتبه، ومكتب محام

وطبيب فقط، وبرصانته المعهودة أخذ يعتلي درجات السلم الخمسة المفروشة بالسجاد، والموصلة إلى مكتبه.

* * * *

ذاكرته تحاول استدعاء حوادث بعيدة... أين حصلت كلّ هذه الحوادث؟!. حلم يتطاول.. صور.. نساء.. أسماء.. أشخاص.. إلخ..

رنّ جرس الهاتف. أيقظه من شريط الذكرى.. رفع السماعة.. حدّث صوتاً يأتيه من الطرف الآخر.

أعاد السماعة.

حامد الرجا؟! ثم أصدر ضحكة ليست عالية، مسموعة فقط، إلا أنّها مستفهمة، ومتهكمة...

قال له: إنّه مشتاق إليه كثيراً.. لم يره منذ سنوات.. صديق طفولته وصباه.. ذكّره بأيام زمان..

زمن العشق، والطيران خلف الفراشات، ثم ضحك كثيراً، ووعده بزيارة قريبة.

* * * *

لا يوجد أية سكرتيرة؟!.. تذكّر أنّه أعطى نوراً إجازة لستة أيام. نور شقراء حلوة. طبعاً تستحق ستة أيام وأكثر، وفاديا؟!.. تذكّر أنّه سمح لها بالغياب خلال الفترة الصباحية هذا اليوم لزيارة ريم.

جلس خلف طاولته الرحبة.. أسند مرفقيه على زجاجها.. فتح سجل المواعيد، والاتصالات الهاتفية للتأكد.

لا يوجد أية مواعيد؟!.. أحسن.

أحسّ أنّه يجب أن يرتاح من مناقشة صفقة الجلاتين التي أرهقته كلّ ليل البارحة تقريباً، ثم رفع حاجبيه وأمال رأسه.. كان تخليصها من الميناء مرهقاً...

أحسّ أنّه يجب أن يرتاح.. وأحسّ أنّه سعيد في مكتبه الفخم للاستيراد والتصدير... وأحسّ أنه يرغب بوحدته خلال هذا النهار الذي لا يوجد فيه مواعيد.

صورته المعلقة فوقه على الحائط ترمقه بحذر.. نظر إليها.. أعجب بذاته. ابتسم.. قام من خلف مكتبه.. تمطّى.. أحسّ أنّه يمتلك الدنيا، وأنّه إذا شاء يستطيع أن يمتلكها فعلاً..

أخذ ينتقل في غرف مكتبه.. داهمته ذكرى حامد الرجا!. ابتسم للذكرى المبهمة.. حاول أن يستدعي الأيام التي حدّثه عنها هذا الغريب..

أيام الشباب؟!. هزّ رأسه بأسى.

سقى الله أيام زمان.. زمان مات واندثر في غياهب الأيام التي عبرت.. قال له حامد:

- إنّه كان شديد الانطواء بسبب وضعه المادي..

ذكّــره بأيــام كــان يطــير وراء روز.. روز؟!. كـأنّــه تذكـر اسمها ، كـانت تمطر نثيثاً.. لا بدّ أنّه الربيع

حدّثها. سارا تحت المطر.. احتمت بمظلتـه خشية الماء المسكوب من السماء.

- ولكن في أيِّ مكان؟!.

لا بـدّ أن روز كانـت مـن المفضلات.. ولا بـدّ أنّـه كان يحبّها.

أكدّ له حامد أنّـه كـان صـديقه.. ذكّـره بأيـام الهجرة من القرية بسبب الفقر!. وأيام الوظيفة وإياه في غرفـة واحـدة. ذكّـره بحادثـة هروبـه ليلحـق بهنـاء إلى معرض الزهور وكيف عرف المدير بذلك.

ذكّـره بـصحن الفـول الـذي كانـا يتنـاولانـه في الدائرة.. وذكّره بمقهى الساقية ، وذكّره بالنرجيلـة ، والازدحــام بمقهــى حــارة الــزاروب ذات الكراســي الوطيئة التي كانا يلتقيان فيها بعد الدوام في المديرية

لأنّ كأس الشاي بثلاثة فرنكات بينما هي في كلّ المقاهي بخمسة، وذكّره بأيام السينما التي كانا يدخلانها في نهاية كلّ شهر.

أحسّ بضياع.. توقف في وصيد الشرفة المطلّة على الشارع الأعرض في المدينة.. لم يكن ضياعاً، وإنّما حوادث عصية الرجوع تريد المثول إلى ذاكرته

... احتضن جبهته بصفحة كفه.. أغمض عينيه.. أسند رأسه إلى ساعد الباب.. كأنّ روز تخطر بتنورتها القصيرة أمامه.. والسينما، ومقهى حارة الزاروب، ونرجيلة الساقية، وحامد، وكأس الشاي وصحن الفول.. وأيام زمان!!.

عندما رفع رأسه الذي بدا موجوعاً لم يجد حوله إلا مكتبه، ولم يتذكر إلا مزرعته و(الفيلا) وسيارته (الكابرس).

جبلة في ١٩٩٢/٤/١٥

قصص قصيرة جداً...

- داويته وشفاه اللّٰه
- رحيل
- قصص غير صالحة للنشر
- سكون



داوته وشفاه الله

اعتلت المرأة الشابة ظهر دابتها ثم انطوت على ذاتها من شدة التعب والألم...

رحلت إلى كلِّ الأماكن التي تعرفها راجية الشفاء.. مسدت حجارتها.. شربت من ماء ترابها ، ومسحت جسدها فيه، وفعلت كلّ الذي طلبه منها العرّافون.

حدثتها جارتها عن طبيب (شاطر).. ذهبت إليه.. أعطاها دواء بعد أن درس حال مرضها وتفهم داءها.

شفيت المرأة من علّتها ، وفي آخر مرة راجعت فيها الطبيب، رأت ما لم تكن قد رأته في المرات السابقة، شاهدت عبارة مكتوبة فوق باب عيادة الطبيب الشاب (داويته وشفاه اللّه)

جبلة في ٢٠٠٦/٦/٢٩م

رحيــل

عندما تراءيت قاصداً تفحص صدغي؛ وجدت لونـا رماديـا يحـلّ بـشدة محـلّ اللـون الأسـود لـشعري الفاحم.

حاولـت إخفـاء أثـار الـسنوات بالـصباغ؛ فاشـتدّ إصــرار اللــون الرمــادي علــى الثبــات والانتــشار إلى مساحة أكبر من شعر رأسي؛ وعدم الاستجابة لأشـدِّ أنواع الصباغ قدرة على الاستمرار والبقاء.

عندئذ أدركت أن زمنا بذكريات عذبة قد ولّى، وأنّ فترة شباب جميلة قد رحلت ولن تعود.

جبلة في /١٧/١٢/٢٠٠٥م

قصص غير صالحة للنشر•

كتب كثيراً.. كتب ثم كتب، ثم كتب، ولكنّه عجز عن نشر قصة واحدة.

كلّ القصص التي كان يكتبها، كان يُردّ عليها:

- إنّها قصص غير صالحة للنشر.

استيقظ في الليل... الصمت وضجيج الحشرات

• نشرت في جريدة الأسبوع الأدبي العدد /٩٧٢/ تاريخ ٢٠٠٥/٩/٣.

في غرفته التي في أسفل البناية أوحى له بقصة قصيرة، وبعد الانتهاء من كتابتها (جعك) الورقة وألقى بها في الشارع من النافذة العلْوية لغرفته، لأنّه كان يعرف أنّ الجواب سيكون:

ـ قصتك غير صالحة للنشر. فوجئ بعد أيام بقصته ذاتها منشورة في مجلة رائدة وقد ذيلت باسم شخص لا يعرف القص، وفازت بالجائزة الأولى.

جبلة في ٢٠٠٤/٧/٤/ م

سـكون

منذ أربعين عاماً وضع قدمه في الخطوة الأولى، ثم سار، وسار.. ثم جدَّ في السير، والركض والبحث وتشعبت به السبل للوصول إلى هدفه، وعندما نظر إلى المسافة التي قطعتها قدماه بعد أربعين عاماً، وجد نفسه في ذات المكان الذي انطلق منه.

عندئذ أدرك أنّه لم يسر أية أنملة، وأنّ كلّ الذي ساره كان وهماً، وأنّه لا يزال في مكان انطلاقته الأولى.

جبلة في ٢٩/٦/٢٠٠٦م



الذي حصل لمرزوق



الذي حصل لمرزوق•

الوقت ليل.. تماماً منتصف الليل، عرفت ذلك من الساعة المعلقة على الحائط.. قبل ثوان أيقظتني من شرودي وهي تدقُّ معلنة الثانية عشرة ليلاً.

النوم جافاني، وأنا أيضاً لا أحاول النوم على الرغم من أنّي أرغب فيه.. لم أنم منذ يومين، ولا أحاول النوم أبداً، لأنّني مقتنع أنّ النوم قد جافاني.

زوجتي وطفلاي ينامون إلى جانبي على الفراش

• نشرت في مجلة الموقف الأدبي ـ عدد حزيران لعام ٢٠٠٦م.

الممدود على الأرض.. أسوّى وضع جلستي، وأسند ظهري على مسند القش الذي يستند إلى الحائط.. أحسّ بمسند القش يخز ظهري..

أستلقي ويداي متشابكتان تحت رأسي.. عيناي تدوران عبر الجدران والسقف المشقق.. تكرران فعلتهما مرات عديدة.. أعود لأسند ظهري إلى مسند القش الذي كان يخزني، ثم أمدّ اللحاف فوق الأجساد الحبيبة النائمة كي لا تصاب بالبرد، الذي يعربد في الخارج ويتسلل عبر شقوق الباب والنوافذ.

الوقت ليل، وأنا أساهر صمتي وحيرتي، ومن قعر وعيي تعوم صور لا أعرف كنهها، وتنتابني أحاسيس تؤلم مشاعري.. تمتصّ غفوتي وذبولي، وفي النتيجة لا أنام، وأبداً مشاعري متّقدة وكأنّي أحد أهل الكهف، وقد قام لتوِّه من رقاده الطويل.

*   *   *   *

عندما أعلمني المحقق أنّني محال إلى القضاء أحسست بجفاف في حلقي وتيبس في شفتي ولهاتي..

لم أستطع قول شيء.. فاجأني المحقق:

- أنت محال إلى القضاء، ومفصولٌ عن العمل

قالها وهو ينفث دخاناً من (سيكاره) البني القاتم.. ثم تململ خلف مكتبه الرحب، واستوى على كرسيه الوثير، وأتمَّ بتمهلٍ:

- القاضي سينظر بعين العطف إلى قضيتك.

لا أعرف ما هي المشاعر التي انتابتني، ولا اللون الذي تلوّن به وجهي عند سماعي هذه الكلمات.. وجيب قلبي اللجوج كان طاغياً على كلِّ شيء، ووحده الذي كنت أحسّ به، كان الأمر امتحاناً قاسياً لقدرتي على تحمل هزيمة لم أكن طرفاً فيها.

* * * *

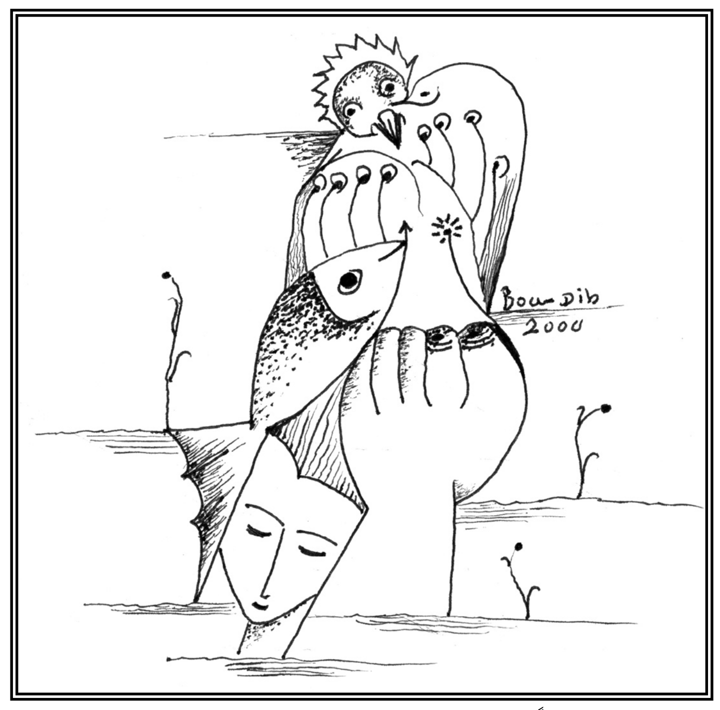
الـــريح شماليـــة. صـــقعية، تتحـــرك ثقيلـــة في الخـارج، وغرفتنـا غارقـة في العتمـة كمـا بقيـة الحـي الـذي هـي فيـه.. مـشرعة لليـل والظـلام، وبـرد لا تـرده عنَّا إلا حيطان مشققة رسمت عليها الرطوبة أشـكالاً سُريالية أتمّها طفلاي بخربشات طفولية بريئة.

*　*　*　*

الشارع خال كمـا لم أعهده، عـريض كمـا لم أعهده. عنـدما أعـبره في النهـار أتخيـل المدينـة حشرت كلَّها فيه، إلا أنّه الآن خال، كـأنّـه أفـرغ لاسـتقبالـي بطوله وعرضه.

اســتقبلني الــشارع في الليــل غــير هــذه المــرّة، ولكنِّي لا أحسّ أنّه استقبلني في أية مرة بمثل حفاوته الآن. لازمـت اتجـاه الحـائط وسـرت، أعـرف الـشارع.. تمامـاً أعرفـه.. سـرت فيـه مـرات عـدة قـبلاً.. يـداي تتـشابكان خلف ظهـري، وأحيانـاً تختبئـان في عبـي، وفي جيـوب معطفـي العتيـق.. أنهـي الـشارع، أعـود مـن

البداية، وأكرر الذهاب والإياب. أحدّق نحو الأسفل، وكأنّني أرقب اللبلاطات التي تمضي بطيئة باتجاه الخلف من تحت قدمي.. أحسّ بالبرد يخز عظمي.. ألمّ ياقة معطفي حول عنقي، أحاول غمر رأسي بها.. المطر الرهام القادم من الشمال يغسل رأسي ويصل حتى جسدي.



أغمضت عيني متكوراً في وضعية جنين مخالف يرفض النزول إلى هذا العالم

أقف تحت مظلة محلٍ تجاري.. ثمة أقدام متشردة في الليل مثل أقدامي تخبط البلاط المغتسل بالماء وتمضي.. كلاب تتراكض في الليل.. سيارة معبأة بأجساد نساء شبه عاريات تعبر الشارع بهدوء شديد، أنوارها تنشب في الظلام وترسم نوراً مديداً يهتك ظلمة الليل.. تحدث خدشاً في صمتي وسكوني.. أواصل خطوي وأحسّ بالدوار يمخر رأسي.. ولا أعرف الاتجاه الذي تقودني إليه قدماي.

*   *   *   *

يأتون في نهاية كلِّ عام، أو في بداية العام الذي يليه.. تماماً أعرف هذا، وأعرف سبب مجيئهم.. سمعتهم يرطنون مع المدير.. كلماتهم لم أفهمها.. الجدية والاهتمام على الوجوه هما اللذان أثارا فضولي.

نقبوا.. طابقوا الاستمارات على البطاقات.. طابقوا أرقام أوامر الصرف وقيمها على الاستمارات..

تأكّدوا أنّ أيَّ شيء من هذه الأعمال لم يبق بلا إنجاز.

شيء واحد لحظته خالف المألوف:

لم يطابقوا السجلات أو الدفاتر التي تسجل فيها الأرقام.

ـ أيعقل أنّهم اكتفوا بمطابقة أرقام أوامر الصرف وقيمها على الاستمارات؟!. أو مطابقة الاستمارات على البطاقات؟!.

كبيرهم وضع إشارة التفتيش ومضوا!!

صحيحة هي سجلاتي متطابقة عمودياً وأفقياً. لا أخطاء، لا تشطيب. لا تصحيحات فيها.. ولكنّهم!!

عادوا!!

أيعقل أنّهم نسوا في المرة الأولى؟!

دققوا دفتر الصندوق

دققوا دفتر اليومية.

طلبوا كلّ السجلات التي أهملوها في المرة الأولى.. وثانية رطنوا بكلمات لم أفهمها مع رؤساء الدوائر والأقسام.. وثانية دفعني الفضول لأعرف ما الذي فعله هؤلاء، إلا أنّني أقنعت نفسي وقلت:

يا ولد يا مرزوق ما لك ولهؤلاء.. ابق في شغلك.. لا تتدخل فيما لا يعنيك.. وأنت موظف صغير (وعلى قدّ الحال)!!.

* * * *

قرب المدينة لا يوجد إلا جسر واحد.. كم هو بعد الجسر عنها؟!.. أيعقل أنّي سرت كلّ هذه المسافة؟!. ولكن، في ظاهر المدينة لا يوجد إلا جسر واحد.. أنواره هي ذاتها.. كلّ شيء

هو هو حتى النسمات الباردة ومياه النهر. جلست على حافته.. أنوار أعمدة الكهرباء تشكّل هالات غبشها في النثيث. لا يزال المطر يتساقط، مجدداً تلفعت بياقة معطفي.

ياه!!.

من أين أتت كلُّ هذه الأنوار.. لماذا كانت المدينة معتمة عندما كنت فيها؟!.. المدينة مشرعة لليل، ومغطاة بهالة من ضياء.. يا للألوان!!. إنّها تتراقص في الرهام.. إنّها المدينة على حقيقتها مضيئة، وقبل قليل كانت معتمة!!.

إنّها المدينة! مظلمة من داخلها إلا من أنوار واهية تساهر ليلها، المطر في الضياء يتساقط بقوة على المدينة، لماذا يتساقط المطر على المدينة؟! أيريد غسلها من الأدران؟! وتخيلت المدينة امرأة فاجرة تستحم بالماء، وأحسستُ بضجيجها يمخر عبر رأسي وأعصابي..

التجـأتُ إلى موقـف الـسيارات مـاء النهـر صـار خلفي، ووجهي صار مقابلاً للسيارات الواقفة، صمت لا يعكِّره سوى صوت الماء المتماوج في النهر.

تــذكّرت كلمــات المحقــق بــأنّني محــال إلى القضاء.

أحســست بــضجيج أحاديــث كــثيرة كــثيرة تتراكض في رأسي، ورأيت بأم عيني محققين وقضاة، وجلسات محاكم ومرافعات، ودفاعات مكتوبة وغير مكتوبة، ومفتشين كلّهم يذكرون اسمي، يقولون إنّهم يدعمون قضيتي التي أصبحت قضيتي من غير أن أعلم أنا ذاتي ما هي؟!.

فجـأة صـوت المـاء المتمـاوج في النهـر أيقظـني مـن الـشـرود.. عنـدما نظـرت إلى المـاء كـان الـضباب قـد شكّل رواقاً فوق النهر، وبدا الشرق بإضاءات باهتة على ذرا الأشجار البعيدة في الأفق. ولعلّ منظر الأرض المفلوحة بنية اللون، والممتدة بأشجار السرو الواقفة

في الليل، والآخذة بالتستر خلف ضباب الفجر وهي تتحرك بأماليدها الطرية قد بعثت في نفسي حبَّ الجمال الآسر لقريتي الغافية بين أشجار السنديان والممتدة ببيوتها الطينية عبر الوادي شديد الخضرة المفعم بصفاء شمس صيفه ونقاء هوائه.

* * * *

سمعت أمُّ العيال خبطات حذائي، فاستقبلتني بلهفة.

- أين كنت يا مرزوق؟

- .....

فاجأتني صورتي المرتسمة في المرآة التي كنت أرى وجهي كلّ صباح فيها قبل ذهابي إلى المؤسسة التي أعمل فيها.. ذقني الحليقة لم تعد كذلك..

امتص البرد طراوة وجهي وتجمّد عليه الهمّ، فبدا مصفراً وجافاً، وبدوت كأني قادم من زمن

عتيق.

كررت زوجتي سؤالها بلهجة أكثر لهفة:

- أين كنت يا مرزوق؟

- طردوني من الوظيفة.

سميّة تعرف معنى هذه العبارة، وتعرف معنى ضياع ستة عشر عاماً من الوظيفة. لم تبد حزنها، بل طيبت خاطري قائلة:

- أنت تعب يا مرزوق، تعب. ويجب أن تستحم، وتنام وترتاح.

ساعدتني زوجتي في نزع ثيابي المغسولة بماء المطر، غسلت رأسي وجسدي، وهي تتمتم:

- أتعبتك الوظيفة.

- ولكني لم أسرق يا سمية، لم أسرق. أنا

نظيف، نظيف كيوم ولدتني أمي.

زوجتي جففت جسدي، وألبستني ثياب نوم نظيفة، وعندما أغمضت عيني في الفراش الممدود على الأرض إلى جانب طفلي متكوراً في وضعية جنين مخالف يرفض النزول إلى هذا العالم، سمعت زوجتي تتمتم حزينة:

- نم يا مرزوق، نم، وفي الصباح يحلّها الحلال.

بينما كانت ترتسم أمام مخيلتي صور غربان بأجنحة كبيرة تتجه نحو الشمس لتحجب نورها الذي تمنيت أن يملأ أرجاء غرفتنا الوحيدة.

جبلة في ١٩٩٥/٣/٢٥

قصص قصيرة جداً

ـ الغربان

ـ الهدف

ـ الحافلة

ـ انهيار

الغربان*

الغربان تتعب في كلّ الفضاءات.. تبدو ضاحكة حيناً، ومستهزئة أحياناً.

رجل أشاب الزمن شعر رأسه، أحسّ أنّ أمراً سيئاً سيحلّ على المدينة كلِّها، وقال: الغربان نذير شؤم.

---

* نشرت في الأسبوع الأدبي العدد /٩٧٢/ تاريخ ٢٠٠٥/٩/٣.

بين الحين والحين كانت الغربان تلوى بأعناقها نحو الأسفل، ثم تنفث أنفاساً سامة.

تكاثفت الغربان، وتزايدت، وفجأة حجبت أشعة الشمس وأخذت رائحتها النتنة تغلف المدينة كلّها.

لم يتمكن أحد من سكان المدينة فعل شيء.. بعضهم عبَّر عن أسفه لحال المدينة، وبعضهم عبَّر عن غضبه، وأحسَّ الناس أن لا زوال للغضب الماحق الذي حلّ بهم.

جماعة من الفتية الشبان التفت حول الرجل الذي أشاب الزمن شعر رأسه، ثم التفتت إلى الناس وقالت:

- يجب رمي الغربان بالنبال حتى ترحل من فضاء مدينتنا.

ضحكت الغربان معبّرة عن استهزاءاتها

المتلاحقـــة، وعنـــدما أعملـــت النبـــال في أجنحتهـــا تكـسيراً، تجمعـت في مكـان واحـد مـن الفـضاء ثـم نفثت كلّ الذي في حوصـلاتها مـن سـوم وفـرّت هـاربـة لا تلوي إلى الوراء أبداً.

جبلة في ٢٠٠٤/٧/٤م

الهدف

هم ثلاثة.. هم أربعة.. هم خمسة.. هم أكثر من ذلك!! وجميعهم يجمعون على هدف واحد أسمى.. كلّهم يعرف الهدف، وكلّهم يعرف مكان الهدف!!.

ولكنّهم اختلفوا.. اختلفوا في الوصول إلى هدفهم.

ستقولون: ـ لعلّهم لا يعرفون الدرب!!..

وأُعلن لكم: إنّهم جميعاً يعرفون الدرب.

تقاتل الرجال في كيفية الوصول إلى هدفهم..

أدمى بعضهم بعضاً.

استغل رجل خسيس، تقاتل الرجال الأخوة وضياعهم..

سار قذراً يريد الهدف، وتمزيق أوصال الرجال، ولا يزالون في قتالهم حتى الآن.

جبلة في ٢٠٠٥/٢/٦م

الحافلة•

(الموت يقظة)

علي بن أبي طالب

كلُّ الذي يعرف، أنّه في هذه الحافلة الكبيرة.. لا يعرف متى جاء إليها.. لا يعرف من جاء به إليها، ولا من أين جاء.. ما هو دوره في هذه الحافلة؟!.. لا يعرف. لا يعرف شيئاً عن وجوده أبداً..

كلّ الذي يعرف أنّه يحسّ بالحافلة تسير

• نشرت في جريدة الأسبوع الأدبي العدد /٩٧٢/ تاريخ ٢٠٠٥/٩/٣.

بسرعة لاهبة حيناً، وبتباطُؤٍ أحياناً.

وعندما مات، وألقوا به إلى البرية من النافذة، استيقظ، وأدرك أنّ وجوده في هذه الحافلة الضخمة كان وجوداً عابراً وتافهاً، لدرجة أن لا قبر له فيها.

لذلك تنفس بعمق، ثم أغمض عينيه، وهو يحسّ بالغربان تنهش جسده.

جبلة في ٢٠٠٤/٧/٤م

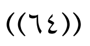
انهيار•

انتفخت أوداج الرجل بشدّة.. قبضته تكوّرت.. انشدّت أعصابه.. أصبح بكل مشاعره متجهاً نحو خصمه للقضاء عليه، وهو على هذه الحال تذكّر أنَّ الأيام ليست في صالحه، وأدرك فداحة النتيجة الوخيمة التي سيقع فيها رغم أحقيته في المسألة.

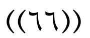
بكامل جسده اتجه نحو غريمه.. ابتسم له، ثم اعتذر وغاب في لجة البحر البشري المتدافع نحو الهاوية.

جبلة في ٤/٧/٢٠٠٤م

• نشرت في جريدة الأسبوع الأدبي العدد /٩٧٢/ تاريخ ٣/٩/٢٠٠٥.



أسراب الحمام



أسراب الحمام

تركت أسراب الحمام وكناتها.. حلقت عالياً في فضاء المدينة الآمن.. رسمت دوائر وأشكالاً لا قياس لها ثم عادت وحطّت على أبراجها.

مارست أسراب الحمام فرحها.. كرّرت ذلك مرّات عدة.. هكذا اعتادت عند ولادة كلّ فجرٍ.

*   *   *   *

أشعة الشمس ملأت شوارع المدينة، وحاراتها وأزقتها الضيقة تمنح الحبَّ والدفء والجمال للحياة والكون والناس الذين يولدون كلَّ صباح في

الـدروب.. وأخـذت المدينـة تتـزين بـشوارعها النظيفـة ومحالها شديدة الأناقة وأناسها الخافّين إلى أعمـالهم، وتسيير شؤون حياتهم.

* * * *

لا تــزال أســراب الحمــام تمــارس فرحهــا.. اســتراحت مـن طيرانهـا.. نزلـت إلى سـاحات المدينـة، وزينتهـا بأشــكالها، وألوانهـا وحركاتهـا، وعذوبـة هديلها.

* * * *

نظر في صفحة ساعته.. لا يزال هناك متسع من الوقت للوصول إلى العمل، ولا يزال عبد الهادي يتمهّل بخطواتـه.. اختـار اليـوم الـذهاب ماشـيا إلى المؤسـسة التي يعمل فيها، بعد أن خرج من منزله مبكراً.. وقف أمام محل للألبسة الجاهزة.

حدّث نفسه:

لا يزال صاحب المكان يجهز بضاعته للعرض..

أزهـار قرنفـل حمـراء وبيـضاء أثـارت انتباهـه.. ومجدداً نظر في صفحة ساعته:

* * * *

فجـأة أسـراب الحمـام أوقفـت طيرانهـا.. حطّـت على ذرا الأبراج، ثم لوت بأعناقها نحو الأفـق البعيـد، وأخذت تهدل بصوت عال..

ثمـة ريـاح تهـبّ في الأفـق.. الريـاح بـاردة تحمـل السواد، كأنّها محمّلة بذرات غبار رصاصية اللون.

ثانيـة طـارت أسـراب الحمـام مـذعورة علـى غـير عادتهـا.. حطّـت علـى ذرا الأبـراج ثـم أخـذت تتقـافز بشكل عشوائي مخالفة كلَّ ما هو مألوف لديها.

قليل من الوقـت.. سمـاء المدينـة غطيـت بهالـة مـن سواد، وبدت أسراب الحمام غائبة عن أبراجها.



وبدت المدينة خالية من شمسها وجمالها وأسراب حمامها وهامات السرو فيها

وضع عبد الهادي قدمه على أوّل درجة للسلم الموصل إلى المؤسسة التي يعمل فيها ثم تراجع.. نظر إلى السماء.. كأنّها قبة رمادية سوداء.

ثمة رياح عاتية قادمة من الأفق تصدر (قرقعة) تريد أن تضرب المدينة كلّها.

*   *   *   *

هاج الناس.. اجتمعوا.. تفرّقوا.. تحدّثوا.. أبدوا آراءً متضاربة، وما اتفقوا، ولكنّهم جميعاً أبدوا شؤمهم من الرياح الغريبة التي لا معرفة لهم بها.

الشيخ عبد الصمد تدلت مسبحته ذات المئة حبه من كمه وهو يتوجه إلى الناس رافعاً يده اليمنى نحو الأعلى:

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. ما هذا

النهار قبل قليل كانت الدنيا هي الدنيا..

صلُّوا يا ناس، واصلوا الصلوات، وادعوا لحماية المدينة.

شرطي المرور بقي مواظباً على عمله حافظاً للنظام في تسيير حركة السيارات التي بدت على غير العادة في تسارعها.

أبدى الشبان والشابات استعداداً للعمل والدفاع عن المدينة في حال حدوث أي طارئ.

الرياح المعبأة بالرمال السوداء وصلت المدينة...

أطلقت صفيراً بشعاً وأخذت تسفي رمالها في كلِّ الأماكن.

ـ الرمال عبأت الحدائق، وبرك الماء، وكلِّ الساحات، وأخذ الناس يتسابقون للاختفاء من الشوارع التي كانت فرحة بهم قبل قليل، وبدت

المدينة خالية من شمسها وجمالها وأسراب حمامها، وهامات السرو فيها.

ـ الأشجار غُيّب اخضرارها وبدت مرتدية العري والسواد، وغابت أبراج الحمام خلف هالة ضباب أسود.

ـ شوهدت امرأة شوهاء الوجه تسارع للاختفاء.

ـ شوهد رجل يسابق الريح برجل واحدة.

ـ شوهد شاب بلا أطراف علْوية يركض مختفياً.. وغيرهم وغيرهم.

تحدّث رجل طاعن في السنّ قال:

إنّ هذه الرياح تهبُّ على المدينة في فترات من الزمن، وعلى سكان المدينة أن يعرفوا كيف يتخلصوا من آثار سمومها.. فجأة غاب ولم يعد له أثر.

جبلة في ١٤/٥/٢٠٠٦م



قصص قصيرة جداً

- فاطمة
- نجاة
- الهاوية
- بقاء



فاطمة

أحبّ الناس فاطمة.

صــارت النــسوة تتــسارع لاســتقبالها ودعوتهــا لزيارتهن احتراماً لها.

صار الرجال يعتدلون في جلساتهم عندما تمر.

بــدت فاطمــة معلمــة ناجحــة جــداً في القريــة

الوادعة ذات السكان المغموسين بحبِّ التراب والزراعة، ومعاشرة الأرض.

قالت إحدى النسوة:

لقد تغيَّر سلوك الأولاد منذ أن جاءت هذه المعلمة إلى القرية.

قالت أخرى:

- لقد أصبح ابني يقرأ ويكتب وظائفه دون مساعدة من أحد.. صار تلميذاً جيداً بعد أن كان متوسط الاجتهاد.

أكّدت سيدة أخرى لجليساتها:

إذا كانت فاطمة في المدرسة فنحن مطمئنات وكأننا جميعاً نرعى أولادنا.

.. وفي يوم مثلج فوجئت فاطمة بقرار إبعادها عن القرية التي أحبّت أبناءها، وأحبّها جميع سكانها.

كانت تودِّعها عيون حزينة، وتبكيها نسوة.

جبلة في ٢٠٠٦/٢/١٥م

نجــاة

أُجبرت الشابة على الزواج من رجل هرم رغم إصرارها الشديد على عدم قبوله زوجاً لها.. رددت كثيراً:

ـ لا أريده.. لا أريده.. لا أقبل به زوجاً لي، لكنّ رجاءاتها ذهبت بلا فائدة.

في يوم فرحها لم يذق الزوج المسنُّ أيّ شيء من شهدها.. ذاق مخدراً في الشراب الذي احتساه، أمّا هي فقد نجت إلى شاب أحبته لتبني معه عشاً هادئاً.

عندما استيقظ الزوج العجوز، ولم يجد غزالته الناعمة أغمض عينيه، وأسلم جسده المنهك لنوم عميق.

جبلة في ٢٠٠٦/٦/٢٩م

الهاويـة•

وأخـيراً قـرر ألا يـشارك في اللعبـة أبـداً، وألا يكون شريكاً في المخطط الذي بين أيدي زملائه في الشركة.

ركـب سيارته.. اتجـه نحـو تجمـع المهندسـين، كـادت أغنيـة عذبـة الـصوت تنسيه المكـان الـذاهب إليه.. وعندما ترجّل من سيارته، كـان إصراره أشـدّ وعزمه على الإصلاح أقوى.

• نشرت في جريدة الأسبوع الأدبي العدد /٩٧٢/ تاريخ ٣/٩/٢٠٠٥.

وعنــدما شــاهد رزم الأوراق النقديــة تلتمــع في محفظة (السمسونايت)، وقد رتبت بشكل مغرٍ، نـال نصيبه منها، ثم اتجه نحو المصرف الـذي يـودع أموالـه فيه، ومن بعده فليأت الطوفان.

جبلة في ٢٠٠٤/٧/٤م

بقـاء

نظر إلى زوجته التي أنهكتها السنون.. حدَّثها :

ـ ها قد انتهت الأيام وأصبحنا قريبين من نهاية المسافة ..

حزنت زوجته كثيراً لأنّ أيامهما أصبحت قليلة العدد.

عندما عبر ابنهما الشاب الصغير من أمامهما

فرحا فرحاً شديداً ، لأنَّهما عرفا سرَّ الخلود ، الذي بحثت عنه كلُّ الشعوب التي سبقتهم، وكلُّ البشر الذين يعاصرونهم، وستبحث عنه كلُّ الأجيال التي ستأتي بعدهم.

جبلة في ٢٠٠٦/٦/٢٩م

نهاية الموظف
عبد الصبور



نهاية الموظف عبد الصبور

غرفة ضيقة تأتلف مع غرفة أخرى مثيلتها بينهما حمام وإلى جوارهما صالون صغير لا تزيد مساحته عن مساحة أي من الغرفتين الضيقتين، بالإضافة لمطبخ صغير ودورة مياه... بالمحتضر إنّها شقة سكنية لا تتجاوز مساحتها الستين متراً مربعاً تقع في أسفل البناية.. إنّها جزء من القبو المؤلَّف من ثلاث شقق صغيرة.

الشقتان الأخيرتان لم تكونا مسكونتين، ولعلّ السبب هو حاجتهما إلى الحدِّ الأدنى من الضوء والتهوية، إذ أنّ الضوء يكاد يكون معدوماً بهما،

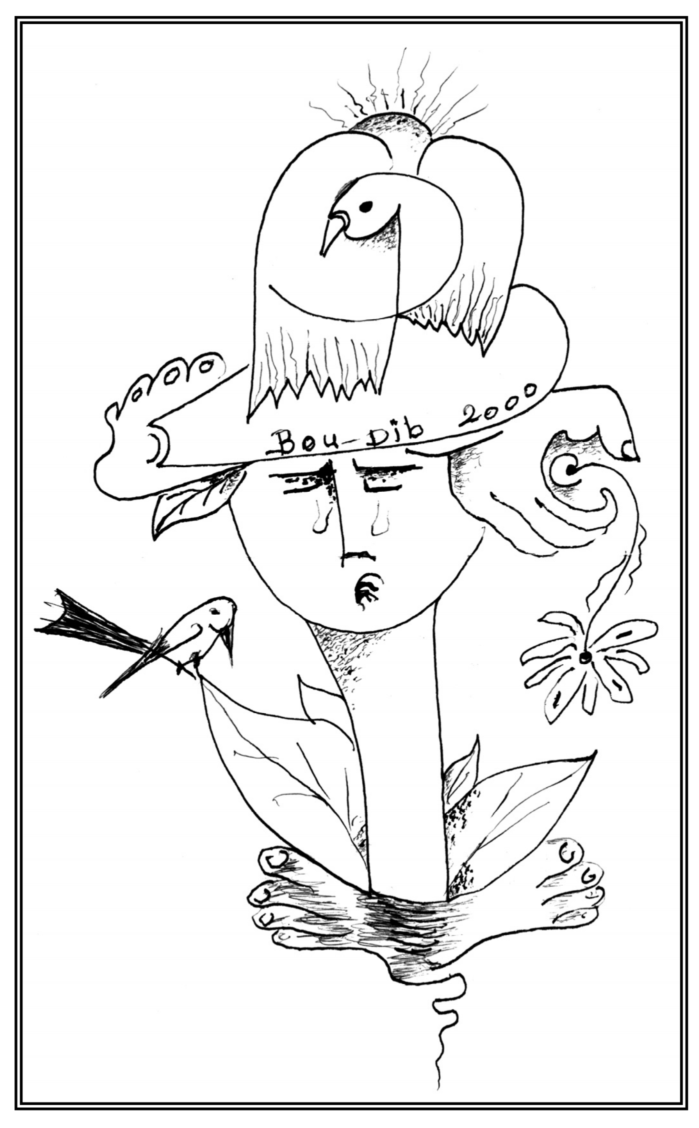
أمّا التهوية فإنّها لا تكاد تكون موجودة أبداً، حيث البناية محاطة ببنايات قريبة جداً.

شقتنا كانت الوحيدة التي قبل والدي السكن فيها، وهكذا انتقلنا جميعاً أنا ووالدي ووالدتي وإخوتي الأربعة إلى القبو الذي لا نزال نسكنه حتى الآن.

* * * *

كان إعلان نتائج المسابقة بمثابة انتصار شعرت بأنّي أحرزته، إذ أنّ التعيين في أية وظيفة بدا أمراً صعباً ضمن الظروف السائدة، حيث كان الكثير من الخريجين يضطرون لإعادة المسابقة عدة مرات حتى ينجحوا ويتعينوا، في حين كانت المرة الأولى التي تقدّمت بها إلى مسابقة بهذا الشأن. أضاف إعلان النتائج تفوقاً جديداً لي حيث كنت من أوائل الناجحين، إضافة لدرجة تخرجي من الجامعة بدرجة ممتاز.

* * * *



نهاية الموظف عبد الصبور

ووجدت نفسي أقنع ذاتي بما منح لي

على الرغم من صغر مساحة الغرفتين اللتين نسكنهما جميعا في القبو فإنّني لا أتذكّر أنّي شعرت بالضيق في أي يوم، ولعلّ السبب هو اعتيادي على هذا المنزل الذي لم يكن بأيّ حال يحمل صفة أخرى أكثر من صفة قبو، فقد كنت معتاداً منذ طفولتي على سكنه... كان إحساسي بالفرق يطفو على سطح شعوري فقط عندما كنت أتجول بين منازل المدينة، لاسيَّما تلك التي كانت في حيّ الزهور، ولعلّ السبب في هذه التسمية آتٍ من كثرة أنواع الأزاهير المعرّشة على جدران أحواش تلك المنازل، التي تبدو كبيرة المساحة وذات فسحات داخلية تسمح لأطفال أصحاب هذه المنازل باللعب الحر وحتى ركوب الدراجات الهوائية حول منازلهم، المشرعة للشمس والهواء، والنسمات الندية... الأمر الذي كنت قد افتقدته في قبونا الذي ما كانت الشمس تدخله أبداً، إلا بقعة ضوء واحدة لا تتجاوز مساحتها المتر المربع الواحد... كانت أشعة الشمس

ترسلها من خلال البنايات العالية المحيطة بنا ، مما جعل الصالون حوالي الساعتين من كلِّ نهارٍ ليس بحاجة للإضاءة بالكهرباء ، ولعلّ هذه الميزة الوحيدة هي السبب الذي جعل والدي يقبل به سكناً لنا.

* * * *

عندما ذهبت للالتحاق بوظيفتي لأوّل مرة أحسست بفرح غامر ، لكنّ الفرح ما لبث أن تحول إلى خيبة أمل مريرة كادت أن تصيبني بإحباط غير متوقع ، لأنَّ تعييني لأوَّل مرة كان كاتباً صغيراً في ديوان المؤسسة التي لازلت أعمل فيها منذ خمسة وثلاثين عاماً.

إنَّ جملة من أفرزوا من الناجحين في المسابقة إلى المؤسسة هم خمسة موظفين ثلاثة منهم وضعوا في أماكن إدارية جيدة ، أمّا أنا الذي وضعت بوظيفة كاتب صغير فلم أحاول في بادئ الأمر معرفة الأسباب التي جعلت هؤلاء الثلاثة يتسلمون مواضع

مقبولة كان أقلها سعيد البكري الذي عين بوظيفة معاون رئيس شعبة.. ولعلّ فرحتي بالوظيفة لأوّل مرة في حياتي هي التي جعلتني لا أبحث عن الأسباب التي أدّت إلى تهميشي ووضعي بمكان لا يتناسب مع كفاءتي أو الشهادة الحائز عليها.

سعيد هو أحد زملائي، وكنت قد تخرجت وإياه من الجامعة في العام ذاته وفي الدورة الامتحانية ذاتها.. صحيح أنني كنت أتفوق عليه بدرجة التخرج

ولكن للحقيقة فقد كان شاباً نبيهاً وذكياً، وقد جرى تعيينه بحسب استحقاقه بمديرية الإيرادات بوظيفة معاون رئيس شعبة.

* * * *

مضت ثلاث سنوات كنت أحس خلالها بسخف العمل الذي أسند لي منذ تعييني في الوظيفة، وكنت أشعر وأنا أسجِّل ملخصات الكتب الواردة إلى

المؤسسة في سجل الأوراق الواردة بالاشمئزاز من سذاجة العمل وبساطته... كنت أعرف أن عملاً من هذا النوع حري بموظف يحمل شهادة ابتدائية أو إعدادية على أبعد تقدير لا حائز على شهادة جامعية ومتخرج من كلية التجارة بدرجة امتياز، الأمر الذي دفعني لأن أعترض للسيد المدير العام على ما أسند إليَّ من عمل.

فوجئت بعد بضعة أيام بقرار موقع من السيد المدير العام بالذات أحضره لي رئيس الديوان يتضمن تكليفي بالعمل في سجل الأوراق الصادرة بدلاً من العمل في سجل الأوراق الواردة، بالإضافة إلى إنذار لي بضرورة عدم الاعتراض على أيّ عملٍ يسند لي، إذ أنّ راتبي الذي أتقاضاه هو راتب أيّ موظف حائز على شهادة جامعية، وأنّ الاعتراض على الأعمال المسندة لكلّ موظف إنما يثير الفوضى.

عندما تسلمت كتاب تكليفي بالعمل في سجل

الأوراق الصادرة اجتاحتني موجة من الضحك من قرار السيد المدير العام... أحسست بتفاهة هذا المسؤول الإداري الذي يعمل وكأنّه يظنُّ أنَّ الموظفين لا يعرفون سخف القرارات التي يتخذونها بدون دراسة، وكأنّه يحدّث عامل تنظيفاتٍ لا يحمل أية شهادة، والذي زاد السخف سخفاً أنّ هذا المدير يرسل لي إنذارا لعدم تعديل عملي الذي لا يتناسب مع كفاءتي وشهادتي.

* * * *

في السنة الأولى لدراستي في كلية التجارة كانت علاقتي بسعيد البكري علاقة طيبة واحترام، كان يحاول أن يكون متفوقاً، وكان يحاول الاقتراب مني وكأنّه يريد أن يعرف الطرائق التي أتبعها في دراستي لتمكني من الحصول على معدلات عالية، الأمر الذي جعل علاقتي به تستمر حتى بعد التخرج ولاسيّما أنّنا أجرينا المسابقة ذاتها

وعيِّنا نحن الاثنين في مؤسسة واحدة.

*   *   *   *

في نهاية السنوات الأربع الأولى كُلِّف سعيد بعمل رئيس شعبة بمديرية الإيرادات التي يعمل فيها.

بقيت أنا بعملي الذي أسند لي منذ قدومي إلى الوظيفة الأمر الذي جعلني أحسُّ ألاّ فرار من هذا العمل البسيط الذي لا أستحق عليه أيّ ترفيع أو أية تعويضات مهما صغرت..

*   *   *   *

تحدثت أنا وسعيد الذي أخذت تربطني به علاقات صداقة أصبحت طيبة بسبب فترة الدراسة والعمل الوظيفي الذي مضى عليه فترة طويلة دون أن أتمكن من تغيير عملي الذي أسند لي منذ أن توظفت، وكنت أرى أنّه ينظر لي باحترام رغم سذاجة العمل المسند إليّ... ضحك سعيد يومئذٍ وهو يقول:

على أيّة حال أنت تتقاضى راتب حائز على شهادة جامعية. حزنت يومئذ لجوابه وتذكّرت الإنذار الذي كان قد أرسله إليَّ السيد المدير العام لعدم الاعتراض على الأعمال التي تسند لكلّ موظف.

* * * *

أعلنت إدارة المؤسسة إرسال بعض موظفي الحلقة الأولى لدوره تدريبية يتسلمون بعدها وظيفة معاون مدير، بما يستحقه هؤلاء المرشحون من ترفيعات وتعويضات من خلال دورتهم التدريبية، ولشدّ ما كانت المفاجأة كبيرة لي عندما تقدّمت بالطلب.

ضحك المدير يومئذٍ، وأمال بظاهر يده يدي التي تحمل الطلب وهو يقول لي:

وهل تعتقد أنّ موظف ديوان صغير يرسل لدورة تدريبية لتسلم عمل إداري جيد!.. ثم استطرد

ـ أيّ عمل يريدون إسناده إلى موظف في الديوان؟!

كان الأمر إحباطاً لكفاءتي التي نلت بموجبها درجة الامتياز في إدارة الأعمال من الجامعة، في حين أنّ الموظفين الذين أرسلوا للدورات التدريبية كان تخرجهم بدرجة مقبول، وكان أحد هؤلاء قد ضبط من قبل أحد المفتشين بتهمة الاختلاس، وما لبث الموضوع أن انتهى إلى لا شيء بسبب تدخل جهات لا علاقة لها بالعمل الوظيفي وطوي الموضوع وكأنّ شيئاً لم يحصل.

* * * *

بعد مضي السنوات المتلاحقة دونما أن أتمكن من تحسين وضعي الوظيفي، وجدت نفسي أقنع ذاتي أنّني لا أستحق إلا وظيفتي التي أسندت لي، ولأنّه في الواقع والحقيقة صارت لدى بقية الموظفين معارف أكثر من معارفي الوظيفية التي تجمدت في سجلي الأوراق الصادرة والواردة.

* * * *

اليــوم أنظــر إلى الــوراء فــأرى خلفــي خمــسة وثلاثين من الأعوام الوظيفية قد مضت بعد أن فعلت فعلها في نفسي وجسدي الذي بدا له غور في الصدر، وحدب في الظهر، وبروز أسفل البطن، ووجه حليق غضنته السنون، وكنت قد ترفّعت لأول مرة (ترفيعاً لا معنــى لــه) لوظيفة معاون رئيس ديوان بمؤسسة إدارية ووجدت نفسي أقنع ذاتي بما مُنح لي.. أمّا بقية زملائــي الــذين هــم أقــلّ مــني كفــاءة وقــدرة فقــد أصبحوا أكثر معرفة، وبمراكز إدارية عالية كنت أحلم بها عندما كنت طالباً في الجامعة.

جبلة في ٢٠٠٦/٧/١٠م

قصص قصيرة جداً

ـ هروب

ـ خيبة

ـ ديموقراطية

ـ النسر

ـ حزن

ـ موات

هـروب

عنـدما أسـلم الـروح، وقـرر الرحيـل عـن الـدنيا نظر إلى الخلف، فلم ير أي شـيء مما كـان يـراه في حياته، فأدرك أنّ وجوده على الأرض كـان جملـة مـن الأباطيـل، عندئـذ تـأبّط محفظتـه واتجـه سـريعاً نحـو الآخرة.

جبلة في ٢٠٠٦/٦/٢٩م

خيبــة

فرحـت سـيدة المجتمـع المخملـي فرحـاً شـديداً ، لأنّها اصطحبت وصيفتها الأجمل للحفل الـذي كانـت قد أعدت له منذ أن وصلتها بطاقة الدعوة قبل شهر.

لبست أجمل فساتينها...أمهـر مـصفف للشعر في المدينة قام بتسريح شعرها الأشقر الـذي زينتـه بأجمـل الأشرطة.. تعطّرت بأطيب العطور الفرنسية وأكثرهـا سـحراً.

كانـت سـيدة المجتمـع تأمـل التعـرف علـى شـاب

وسيم يحبّها، فقد بلغت الخامسة والعشرين ولم تتمكن من الحصول على زوج.

ألبست وصيفتها ألبسة جميلة، وزينتها بأجمل الزينات، حتى تبدو سيدة مجتمع راق ذات وصيفة جميلة وطيّعة.

فوجئت الشابة الحالمة، وأصيبت بالخيبة الشديدة، لأنّ الشاب الذي كانت تأمل أن يتودد إليها أعجب بالوصيفة وتركها وحيدة مع طاولتها.

جبلة في ٢٠٠٦/١/١٣م

ديموقراطية

فجأة ظهرت طائرة في الفضاء...نفثت دخاناً أبيض رسم أشكالاً جميلة متناغمة مع حركة الطائرة المزينة بكلمة(ديموقراطية) وبالنجوم الكثيرة التي تشكّل هالات ساحرة حول الكلمة، التي كتبت لتلتمع شديدة الوضوح لكلّ من يعرف القراءة في ذلك النهار المشمس.

فرح الناس.. أعجبوا بالكلمة المزركشة بين النجوم التي تبدو وكأنّها تحمي الكلمة وتحدب عليها.

بعد أيام جاءت الطائرة ذاتها... ألقت حمما ومتفجرات على المنازل الآمنة، ودور العبادة، والمستشفيات ومدارس الأطفال، ثم انسحبت بسرعة لاهبة محتجبة فوق البحر في الأفق البعيد البعيد.

جبلة في ٢٠٠٦/٢/١م

النسـر

عـاش سـنوات عمـره كلّهـا في أعلـى الجبـل. كانت حياته استعباداً للأجواء المحيطة به.. ما تجرأ طائر صغير أو كبير على الاقتراب من عرشه العالي.

الباشـق أو العقـاب أو الـصقر.. كلُّها كانـت تهابـه، وتنـسج أقاصـيص خياليـه عـن قمـة الجبـل وحمايته من قبل ذلك الطائر القوي.

أحسّ النسر في أواخر أيامه بعدم قدرته على الطيران في الأجواء العالية الباردة شتاءً والحارة صيفاً.

قرر النسر العملاق النزول إلى السهل لعلّه يجد حياة أكثر سهولة.

خافت الطيور من نزوله، وتحدّثت طويلاً.. كيف لها أن تتكيف مع ذلك القوي المسيطر!! ولكنّه ما أن أستقرَّ في السهل حتى أخذت العصافير الصغيرة تقترب من أجنحته الهرمة وتعالجها بمناقيرها الضعيفة.

جبلة في ٢٠٠٦/٢/١٦م

حـزنْ

عـشقته كـلُّ نـسـاء الأرض.. كـلُّ نـسـاء الأرض كانت تترقب عبوره في الدروب، إلا فتاة سمراء نحيله البنيـة.. ضـيقة الخـصـر، ذات شـعـر أسـود وعيـون بنيـة سـاحرة.

عندما اقترب منها ابتعدت ثم غابت بحـث عنهـا في كـلِّ الأرجـاء.. وفي كـلِّ شـواطئ البحـار، وعلـى كلِّ ضفاف الأنهـار، وفي كـلِّ الغابـات. عنـدما عجـز عـن البحـث عنهـا، أغمـضت عينـاه عـن كـلِّ نـسـاء الأرض الراغبات فيه، وانطوى على ذاته حزيناً.

جبلة في ٢٠٠٦/٦/٢٩م



مـوات•

جاء رجل من أقصى المدينة يسعى.. قال:

ـ يا قومْ.. الطوفان قادم إليكم.. كان القوم يشربون الخمر ويلوكون القات، فلم ينتبهوا.. كرر الرجل نداءاته:

ـ يا قوم .. يا قوم الطوفان قادم إليكم. انتبهت رجالات القوم وأومأت له بالانصراف، فاليوم خمر وغداً أمر.

• نشرت في جريدة الأسبوع الأدبي العدد ٩٧٢ تاريخ ٢٠٠٥/٩/٣.

وعندما جاء الطوفان غمر الناس، والبنايات وأشجار السرو.. ولا يزال رجالات القوم يشربون الخمر ويلوكون القات ويغطّون في نومهم العميق، وحتى ساعة كتابتي لهذه الأقاصيص.

جبلة في ٢٠٠٤/٧/٤م

❖ صدر للمؤلف:

- الطريق الطويل...................... قصص

❖ يصدر قريباً للمؤلف:

- الأطفال يرسمون بيئتهم.......... قصص للأطفال

- هبة تحب الرسم والألوان........ قصص للأطفال

الفهرس